

البداية والنهاية

بعبد في الدنيا إلا رفقاً به يوم القيامة وخرج ابن له وهو صغير يلعب مع الغلمان فشبهه صبي منهم فاحتملوا الصبي الذي شج ابنه وجاءوا به إلى عمر فسمع الجلبة فخرج إليهم فإذا مريئة تقول إنه ابني وإنه يتيم فقال لها عمر هوني عليك ثم قال لها عمر أله عطاء في الديوان قالت لا قال فاكتبوه في الذرية فقالت زوجته فاطمة أتفعل هذا به وقد شج ابنك فعله به وفعل المرة الأخرى يشج ابنك ثانية فقال ويحك إنه يتيم وقد أفرغتموه وقال مالك بن دينار يقولون مالك زاهد أي زهد عندي إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز أته الدنيا فاعرة فاتها فتركها جملة قالوا ولم يكن له سوى قميص واحد فكان إذا غسلوه جلس في المنزل حتى يبس وقد وقف مرة على راهب فقال له ويحك عطني فقال له عليك بقول الشاعر تجرد من الدنيا فإنك إنما * خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد . . .

قال وكان يعجبه ويكرره وعمل به حق العمل قالوا ودخل على امرأته يوما فسألها أن تقرضه درهما أو فلوسا يشتري به عبا فلم يجد عندها شيئا فقالت له أنت أمير المؤمنين وليس في خزانتي ما تشتري فقال هذا أيسر من معالجة الأغلال والأنكال غدا في نار جهنم قالوا وكان سراج بيته على ثلاث قصبات في رأسهن طين قالوا وبعث يوما غلامه ليشوي له لحمه فجاءه بها سريعا مشوية فقال أين شويتها قال في المطبخ فقال في مطبخ المسلمين قال نعم فقال كلها فإني لم أرزقها هي رزقك وسخنوا له الماء في المطبخ العام فرد بدل ذلك بدرهم خطبا وقالت زوجته لا جماع ولا احتلم وهو خليفة قالوا وبلغ عمر بن عبد العزيز عن أبي سلام الأسود أنه يحدث عن ثوبان بحديث الحوض فبعث إليه فأحضره على البريد وقال له كالمتوجع له يا أبا سلام ما أردنا المشقة عليك ولكن أردت أن تشافهني بالحديث مشافهة فقال سمعت ثوبان يقول قال رسول الله (ص) حوضي ما بين عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا وأول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين الشعث رؤسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم السدد فقال عمر لكنني نكحت المتنعمان فاطمة بنت عبد الملك فلا جرم لا أغسل رأسي حتى يشعث ولا ألقى ثوبي حتى يتسخ قالوا وكان له سراج يكتب عليه حوائجه وسراج لبيت المال يكتب عليه مصالح المسلمين لا يكتب على ضوئه لنفسه حرفا وكان يقرأ في المصحف كل يوم أول النهار ولا يطيل القراءة وكان له ثلاثمائة شرطي وثلاثمائة حرسى وأهدى له رجل من أهل بيته تفاحا فاشتمه ثم رده مع الرسول وقال له قل له قد بلغت محلها فقال له رجل يا أمير المؤمنين إن رسول الله (ص) كان يقبل الهدية وهذا رجل من أهل بيتك فقال

